مع الكلمة القرآنية
(كلمة النور)

إعداد : الدكتور توفيق أحمد أسعد حمارشة

مع الكلمة القرآنية

نود أن نقف مع القارئ الكريم وقفة تدبر مع كلمةٍ قرآنيةٍ كريمةٍ استجابةً لقوله جل من قائل: (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) (١) هذه الكلمة المباركة هي كلمة -النور- وسنقف معها وقفةً متانيةً لعلنا نقطف من ثمارها ما يبعث في القلب مما يلهم الله به نوراً ذاكرين، مذكرين بادئ ذي بدئ، بأن مدد الكلمة القرآنية لا ينفد، وأن عجائبها لا تبلى، وما أروع وصفه صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم حيث يقول: «لا يخلق على كثرة الرد ولا تبلى عجائبه» ومع ذلك، وفوق ذلك وصف القرآن للقرآن بأنه لو تحول ما في الارض من شجرة أقلاماً، وأمد البحر من بعده سبعة أبحر، بعد أن تتحول مداداً مانفدت كلمات الله، وصدق الله العظيم حيث يقول: «ولو أن مافي الأرض من شجرةٍ اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله»(٢)، وانظر ببصيرتك الى قوله تعالى -من شجرة- ولم يقل: -من شجر- وذلك ليكون الحكم كلياً عاماً لجميع الأفراد دون استثناء حتى يستوعب الجميع، وليس المجموع وقد جاء ذلك في متن السلم في علم المنطق حيث يقول:

والكل حكمنا على المجموع ككل ذاك ليس ذا وقوع
وحيثما لكل فرد حكما فإنه كلية قد علما

(١) ٢٩/ سورة ص
(٢) ٢٧/ سورة لقمان

ومن هنا فقد تحدى أصحاب اللسان من العرب الأقحاح فعجزوا - على فصاحتهم-أن يأتوا بشيء من مثله، لأن هذا القرآن وإن كان من حروفهم وكلماتهم ، فقد جعله الله كتاباً معجزاً، لا يستطيع الإنس والجن ان يأتوا بمثله مجتمعين، وصدق الله العظيم حيث يقول: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (١)

والآن مع كلمة-النور-لنلقي عليها ظلالاً دلاليةً، لقد وردت هذه الكلمة المباركة في القرآن الكريم تسعاً وسبعين مرةً، وكلها جاءت بصيغة الإفراد، وقد وردت بدلالاتٍ متعددةٍ نبدأها بآية النور من سورة النور، قال تعالى:

«الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم»(٢) وجاء في تفسير قوله تعالى في مطلع الآية الكريمة (الله نور السماوات والارض) أي: هادى أهل السماوات والارض، وقال مجاهد وابن عباس: (الله نور السماوات والارض) أي: يدبر الامر فيهما: نجومها وشمسها وفجرها، وجاء في تفسير النسغي والكشاف في قوله تعالى: (الله نور السماوات والارض) مع قوله تعالى: مثل نوره-و-يهدي الله لنوره-هو نظير قولك: زيد كرم وجود، ثم تقول: ينعش الناس بجوده وكرمه، والمعنى: ذو نور السموات، وصاحب نور السماوات، ونور السماوات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» أي: من الباطل الى الحق، وأضاف النور الى السماوات والارض إما للدلالة على سعة إشراقه،وفشو إضاءته حتى تضئ له السماوات والارض،وإما أن يراد أهل السماوات والارض وأنهم يستضيئون به،وأنه هادى أهل السماوات والارض بصوادع برهانه ونواصع بيانه، كما يهتدي بالانوار الثاقبة، والشهب اللامعة.(٣) وعن علي كرم الله وجهه:-

(الله نور السماوات والارض) أي: نشر فيها الحق، وبثه، فأضاءت بنوره، أو نور قلوب أهلها به، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه-مثل نوره في قلب

---

(١) ٨٨/ سورة الاسراء

(٢) ٣٥ / سورة النور.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٩/٢، والكشاف ص ٣٣٣، والنسفي ٦٨/٢، وتلخيص البيان للشريف الرضي ص ٢٤٥ .

المؤمن(١) وقال ابن القيم في تحليله لهذا المثل القرآني:- وضرب الله عز وجل لهذا النور وحمله وحامله ومادته، مثلا بالمشكاة، وهي الكوة في الحائط، فهي مثل الدري وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفي الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشبه الزجاجة لأنها جمعت أوصافا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة، والصلابة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة، والرحمة، والشفقة برقته، ويجاهد الباطل ويغلظ عليه، ويشتد بالحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى، ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها(٢).

وقال الاصفهاني: (وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه هو المنور لمبالغة فعله)(٣) وفسر مقاتل-النور-في قوله تعالى: «الله نور السموات» يعني : الهادي، و-مثل نوره-يعني هداه(٤)، أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد فسر-النور-في آية النور-بالمنور-بصيغة اسم الفاعل وأنه تعالى مبعث النور(٥).

والآن نورد بايجاز معاني كلمة-النور-في القرآن الكريم فنقول:

لقد أورد مقاتل معاني لفظ -النور-في القرآن الكريم على عشرة وجوه وهي كما يلي:

الوجه الاول:- النور-يعني الاسلام، وذلك كقوله تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» وقد فسره بعضهم في هذا الموضع بالقرآن وهدايته(٦) ومثله قوله تعالى:

«وأنزلنا إليكم نوراً مبينا»(٧) وقوله جل من قائل: «فآمنوا بالله ورسلوه والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير»(٨).

الوجه الثاني:- النور- يعني الايمان، كقوله تعالى: أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في «الظلمات ليس بخارج منها

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٨٩، الكشاف ٣٣٣ ص ٦٧، والنسفي جـ٢ ص٦٨، وتلخيص البيان- الشريف الرضى ص٢٤٥

(٢) تفسير الكشاف جـ٣ ص ٦٨

(٣) التفسير القيم لابن القيم ض ٢٧٢ وما بعدها.

(٤) معجم الفاظ القرآن-نور-ص٥٣٠

(٥) الاشباه والنظائر في القرآن الكريم ص ٣٠٣

(٦) انظر المصحف الميسر ص ١٣٣

(٧) ١٧٤/ سورة النساء

(٨) ٨/سورة التغابن

كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون» (١) وجاءت كلمة النور بمعنى الايمان في قوله تعالى: «ويجعل لكم نوراً تمشون به»(٢) يعني إيمانا تهتدون به، ومثله قوله تعالى: «يخرجكم من الظلمات الى النور»(٣) أي: من الكفر الى الايمان.

الوجه الثالث:- النور-يعني الهدى، كما في قوله تعالى: «الله نور السماوات والارض»(٤) يعني هادي-ومثل نوره-يعني هداه.

الوجه الرابع:- النور-يعني - نبي-كما في آية النور كذلك في قوله تعالى: (نور على نور) أي: نبي من نسل نبي.

الوجه الخامس:- النور-يعني ضوء النهار، فذلك قوله تعالى في أول الانعام: «وجعل الظلمات والنور»(٥).

الوجه السادس:- النور- يعني ضوء القمر، وذلك في قوله تعالى «وجعل الفجر فيهن نورا، وجعل الشمس سراجا» يعني جعل في السماوات ضياء يستضيء به أهل السماوات والارض، ومثله قوله تعالى: «وقمراً منيراً»(٦) يعني مضيئا لاهل الارض.

الوجه السابع:- النور- يعني ضوءاً يعطيه الله المؤمن على الصراط يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أبديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها»(٧).

ومثله قول المنافقين للمؤمنين على الصراط كما جاء في قوله تعالى: «انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً»(٨).

الوجه الثامن:- النور-يعني بيان الحلال، والحرام، والأحكام والمواعظ التي في التوراة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: «قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس»(٩)، وكقوله جل من قائل: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما

---

(١) ١٢٢/ سورة الانعام
(٢) ٢٨/ سورة الحديد
(٣) ٢٥٧/ سورة البقرة
(٤) ٣٥/ سورة النور
(٥) ١/ سورة الانعام
(٦) ١٦/ سورة نوح
(٧) ٦١/ سورة الفرقان
(٨) ١٢/ سورة الحديد
(٩) ١٣/ سورة الحديد

استحفظوا من كتاب الله»(١) أي بيان الحلال والحرام والأمر والنهي، وهو بمنزلة الضوء في الظلمة(٢) ثم انظر بعين البصيرة الى قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «بما استحفظوا من كتاب الله» و-من-في قوله تعالى: «من كتاب الله» للبيان، والاستحفاظ من الله تعالى هو تكليف الانبياء والربانيين والاحبار جميعا بان يحفظوا كتاب الله: التوارة والانجيل من أي تغيير، ولكنهم غيروا، وحرفوا، وصدق فيهم قوله تعالى:«من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»(٣)، اما الكتاب الخالد: القرآن الكريم فقد تكفل الله بحفظه فلم يتغير منه شيء، ولم يتعدد كما تعددت الكتب، بل اسند حفظه الى نفسه فقال جل من قائل: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»(٤) لذلك ظل ثابتا في نصه ولفظه ومعناه، فلم يتناقص مع حقيقه علمية أو كونية، لأن الحق والحق لا يختلفان، أما الباطل والحق، والباطل والباطل لابد ان يختلف بعضها مع بعض وصدق الله العظيم القائل: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»(٥)تأمل هذه الآية الكريمة تجدها تؤلف قياسا منطقيا نتيجته الحتمية هي:

إن هذا القرآن هو من عند الله ولا اختلاف فيه- (٦).

الوجه التاسع:- النور-يعني القرآن الكريم بما فيه من بيان لأدلة الايمان التي تنير القلوب، وتحيي النفوس بنور الايمان، لان الايمان الصادق نور وحياة، والكفر ظلمة وموت، وصدق الله العظيم القائل: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون»(٧). وكذلك لما في القران الكريم من بيان الحلال من الحرام، والامر والنهي، فهو بمزلة الضوء في الظلمة قال جل وعلا: «فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير» (٨) وقد جاءت كلمة النور بمعنى القرآن الكريم كذلك في قوله تعالى: «يأيها الناس قد جاءكم برهان من

---

(١) ٩١/ سورة الانعام
(٢) ٤٤/ سورة المائدة
(٣) الاشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ص ٣٠٤
(٤) ٤٦/ سورة النساء
(٥) ٨٢/ سورة النساء
(٦) /انظر تفسير النسفي جـ١ ص ٢٨٥، وصيغة- افعل-ودلالاتها في القرآن الكريم ص ٦ .
(٧) ١٢٢/ سورة الانعام
(٨) ٨/ ورة التغابن.

ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا»(١) يعني هذا القرآن الكريم الذي ينير القلوب والعقول بنور اليقين ومعه البرهان والمعجزات، وأدلة التوحيد، وجاءت كلمة النور بمعنى القرآن الكريم في قوله تعالى: «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»(٢)، فقد قصر الفلاح على أولئك الذين نصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وهو هذا القرآن الكريم. وطريق القصر والحصر للفلاح على الذين اتبعوا النور الذي انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كان عن طريق تعريف الطرفين وهما: «اولئك» «والمفلحون»، وفي النص قصر وحصر آخر وهو ضمير الفصل بين المتلازمين وهو-هم-الذي فصل بين المبتدأ الذي هو-أولئك-والخبر الذي هو-المفلحون-فقد اجتمع في هذه الآية الكريمة نوعان من أوجه الحصر والقصر للدلالة على أنة لافلاح في الدنيا ولا في الاخرة عن غير طريق هذا النور المبين وهو القرآن.

الوجه العاشر:- النور-يعني ضوء الرب تبارك وتعالى، يوم القيامة يوم تبيّض وجوه، وتسود وجوه، يوم يتجلى الحق جلّ وعلا للخالق لفصل القضاء، كما جاء ذلك في قوله تعالى: «وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون»(٣) وأشرقت الارض بنور ربها أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق للخلائق ليهلك من هلك عن بينه، ويحيي من حي عن بينه(٤).

وينتهي الكلام عن كلمة-النور-من كتاب النور، سائلين الله تبارك وتعالى القائل: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم»(٥) أن

---

(١) انظر المصحف الميسر للشيخ عبد الجيل عيسى
(٢) ١٥٧/ سورة الاعراف
(٣) ٦٩/ سورة الزمر
(٤) انظر تفسير ابن كثير جـ/٤ ص٦٤ والاشباه والنظائر في القرآن الكريم ض٣٠٣
(٥) ١٥، ١٦/سورة المائدة

يجعل لنا نصيباً من هذا النور، مرددين في الختام ذلك الدعاء الذي قاله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لنفسي نورا، وأعظم لي نورا».

وفي الختام فقد جادت العاطفة بأبيات من الشعر بمناسبة الحديث عن كلمة-النور-في القرآن الكريم الذي هو النور المبين:

إني أرى نـــورا بعين بصيرتي ... وأرى به الخير العميم أمامي

فأقول هل هذا ســـــراب زائل ... أم أنه يطفي غليل الظـــــامي

فأعود أبحث في حقيقـــة أمره ... والبحث دوما علة الإفهـــــام

وأعود أصهره ببوتقـــة الحجا ... فإذا به ذهب أصيل ســـامي

والكل يهمله ويتركه ســـــدى ... والقلب من وقع الرزيئة دامـي

نور أتانا رحمـــــة من خالق ... لنعيش في الخير وفي الإنعـام

نور تغلغل في نفوس أصبحت ... تنساح خيرا من رحيق خـتام

عمر العظيم بغير نـــور كتابنا ... وأد البريئة في التراب الحامي

لكنه بالنور أصـــــبح عادلا ... ويخاف إن عثرت دواب الشام

ويقول لو أني وضعت طريقها ... سهلا لما عثرت بجنح ظـــلام

بالنور صار إمام عز عـــادلا ... يقظا رحيما نيّر الاحـــــلام